

الدرس (١٤٠) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فواصل القراءة في هذا الكتاب المبارك كتاب رياض الصالحين؛ راجين الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما حواه هذا الكتاب من خير عظيم ونفع عميم، وقد وصلنا إلى باب الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر. وهو باب عظيم ينبغي على المسلم أن يُحسن تأمله.

قال المصنف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى:

١٢- باب الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر

عقد رَحْمَةُ اللَّهِ هَذِهِ التَّرْجُمَةَ لَذَكَرَ مَا وَرَدَ مِنَ الْحَثِّ عَلَى الْخَيْرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي أَوَاخِرِ عُمَرِ الْإِنْسَانِ، لِيَكُونَ الْعَبْدُ بِامْتِدَادِ عَمْرِهِ وَالْفَسْحَةِ فِي أَجَلِهِ، مُزْدَادًا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَعِبَادَتِهِ عَزَّجَلَّ.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿أَوْلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْمُحَقِّقُونَ: مَعْنَاهُ: أَوْ لَمْ نُعْمَرِكُمْ سِتِّينَ سَنَةً؟ وَيُؤَيِّدُهُ الْحَدِيثُ الَّذِي سَنَدُكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَقِيلَ: أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَهُ الْحَسَنُ وَالْكَلْبِيُّ وَمَسْرُوقٌ وَنُقِلَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا. وَنَقَلُوا أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ كَانُوا إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً تَفَرَّغَ لِلْعِبَادَةِ، وَقِيلَ: هُوَ الْبُلُوغُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْجُمْهُورُ: هُوَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقِيلَ: الشَّيْبُ، قَالَهُ عِكْرِمَةُ وَابْنُ عُيَيْنَةَ وَغَيْرُهُمَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

هذه الآية الكريمة من سورة فاطر، أوردها المؤلّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى شاهداً للحثّ على
الازدياد من الخير في أواخر العمر، وأنّ مَنْ عَمَّرَهُ اللهُ عَزَّجَلَّ، وطال به العمر ينبغي أن يغنم
هذا الامتداد في العمر، والفسحة في الأجل، بالازدياد من العبادة والذكر والدُّعاء، والإقبال
على الله، قال قتادة رحمه الله: "اعلموا أنّ طول العمر حَجَّةٌ"، وذكر المُصنّف رَحِمَهُ اللهُ أنّ قول
المُحَقِّقِينَ من أئمّة التفسير، ومنهم ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، في قوله تعالى: ﴿أَوْلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَّا
بِتَذَكُّرٍ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ﴾ معناه: أولم نُعَمِّرْكُمْ ستين سنة، وأيد ذلك بالحديث الذي سيسوقه
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

والإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال السّتين، ثمّ يشرع بعد هذا في النّقص والهرم، كما
قال الشّاعر:

إِذَا بَلَغَ الْفَتَى سِتِّينَ عَامًا... فَقَدْ ذَهَبَ الْمَسْرَةُ وَالْفَتَاءُ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "قال بعض الحكماء الأسنان أربعة سن الطفولية ثم
الشباب ثم الكهولة ثم الشيخوخة وهي آخر الأسنان وغالب ما يكون ما بين السنتين
والسبعين فحينئذ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط، فينبغي له الإقبال على الآخرة
بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة".

وقوله: ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ معناه في قول جماعة من المُفسِّرين أي: الشَّيب إذا ظهر
وتكاثر، فإنّه كذلك نذير بدُنُو الأجل؛ لأنّه يأتي في سنّ الاكتهال، وهو علامة لمفارقة سنّ
الصِّبَا الَّذِي هُوَ سِنُّ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ. قال الشّاعر:

رَأَيْتُ الشَّيْبَ مِنْ نُذْرِ الْمَنَايَا... لِصَاحِبِهِ وَحَسْبُكَ مِنْ نَذِيرِ

فينبغي أن تكون رؤيته مُحَفِّزَةً للمرء على الاستكثار من العمل، والازدياد من الطّاعة
والتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليكون كلُّ امتدادٍ في عمره، وفسحةٍ في أجله، زيادةً له في طاعته
وتقربُه لمولاه.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَتَنَفَّسُوا الشَّيْبَ ، فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ ، مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً ، وَكَفَّرَ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً ، وَرَفَعَهُ بِهَا دَرَجَةً .

وإن نشف المرء واحدة أو اثنتين في أول ظهور الشيب فما هو صانع به إذا توالى، كما قيل:

وزائرة للشيب لاحت بمفرقي ... فبادرتها خوفاً من الحنف بالنتف
فقلت على ضعفي استطعت ووحدي ... رويدك حتى يلحق الجيش من خلفي
قال المصنف رحمه الله تعالى:

١١٢ - (وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ: فَالْأَوَّلُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَعْدَرَ اللَّهُ إِلَى أَمْرِي آخَرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِينَ سَنَةً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١) .
قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ عُدْرًا إِذْ أَمَهَلَهُ هَذِهِ الْمُدَّةَ . يُقَالُ: أَعْدَرَ الرَّجُلُ إِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْعُدْرِ).

هذا الحديث فيه حث على الازدياد من الخير في أواخر العمر، ونقل المصنف رحمه الله عن أهل العلم في معنى: «أَعْدَرَ اللَّهُ» أي: لم يترك له عُدْرًا إذا أمهله تلك المدَّة، أي أن بلغه ستين سنة، وهذا مما يؤكِّد ما عناه المصنف رحمه الله تعالى في هذه الترجمة: من أن العبد ينبغي له إذا أُكْرِمَ بهذه الفسحة في الأجل، والامتداد في العمر؛ أن يزداد إقبالاً على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَعِبَادَتِهِ، ليكون ممَّن طال عمره، وحسن عمله، وكثر ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيكون في كُلِّ يومٍ في حياته يزداد قرباً من ربه، كما جاء في الدعاء المأثور عن النبي ﷺ: «وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ»، فكلَّمَا امتدَّت به الأيام، زاد خيراً وعبادةً وطاعةً لله، فلا يزال بتجدد الأيام وامتداد العمر يزداد طاعةً وعبادةً وتقرباً إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

(١) رواه البخاري (٦٤١٩).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ولمَّا كان هذا هو العمر الَّذِي يعذر الله إلى عباده به، ويزيح به عنهم العلل، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة، ثم ساق حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقْلَهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ» (٢).

قال المصنف رحمه الله تعالى:

١١٣ - (الثاني: عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرٍ فَكَانَ بَعْضُهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ يَدْخُلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءُ مِثْلُهُ؟! فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ! فَدَعَانِي ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَنِي مَعَهُمْ فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرُ إِذَا نَصَرْنَا وَفَتَحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا. فَقَالَ لِي: أَكْذَلِكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا. قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وَذَلِكَ عَلَامَةٌ أَجْلِكَ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣).

في هذا الخبر هذه القصة التي تبين فضل ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ومكانته في العلم والفهم وسداد الرأي، وقد أراد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يريهم مكانته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وما كان عليه من العلم والذكاء والفتنة.

والشاهد من هذه القصة للترجمة: أن النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام لما نزلت هذه الآية: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ كانت تتضمن إعلام النبي ﷺ وإشعاره عليه الصلاة والسلام بدنو أجله، وقرب منيته عليه الصلاة والسلام، فهو - كما يقول ابن عباس -: (أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجه (٤٢٣٦)، وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٤٢٩٤).

فأمره الله بالتسبيح والاستغفار: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ وهذا يستفاد منه ما أراده المصنّف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في هذه الترجمة: أن العبد ينبغي أن يستكثر من الخير في أواخر العمر، وأن يكثر من التسبيح والاستغفار، ودعاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومناجاته.

قال المصنّف رحمه الله تعالى:

١١٤ - (الثالث: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾، إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (٤).

وفي رواية في الصحيحين عنها: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ، مَعْنَى «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ»، أَيْ يَعْمَلُ مَا أَمَرَ بِهِ فِي الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ﴾.

وفي رواية لمسلم: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَرَاكَ أَحَدْتَهَا تَقُولُهَا؟ قَالَ: «جُعِلَتْ لِي عَلَامَةٌ فِي أُمَّتِي إِذَا رَأَيْتَهَا قُلْتُهَا: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

وفي رواية له: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَاكَ تَكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: «أَخْبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي فَإِذَا رَأَيْتَهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَقَدْ رَأَيْتَهَا: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ ﴾، فَتُحُ مَكَّةَ، ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا ﴾ (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النَّصْر: ٢-٣].

(٤) رواه البخاري (٤٩٦٧)، (٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤).

وهذا نظير ما تقدم، وفيه شاهدٌ لهذه الترجمة: الحثُّ على الازدیاد من الخیر فی أواخر العمر، فنبینا علیه الصلوة والسلام كما جاء فی هذا الحدیث، كان یكثر أن یقول قبل أن یموت: **«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»**.

وهكذا ینبغی علی كل من أمدَّ الله سبحانه وتعالى فی عمره، أن یكثر من الدعاء والاستغفار والذكر، وأن یكثر من قول: **«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»**.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

١١٥ - (الرابع: عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: إن الله عز وجل تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته حتى توفي أكثر ما كان الوحي. متفق عليه^(٥)).

قوله: (تابع الوحي)، أي: كثر إنزاله على النبي ﷺ، عند قرب وفاته ودنو أجله عليه الصلوة والسلام، (حتى توفي أكثر ما كان الوحي)، وهذا فيه: كثرة نزول الوحي على النبي ﷺ في آخر حياته، وأن هذه الكثرة دليل على قرب أجله عليه الصلوة والسلام.

والحكمة في كثرة الوحي عند وفاته ﷺ، لتكمل الشريعة فلا يبقى ممّا يوحي إليه شيء، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ففي هذا الوحي وتابعه: إتمام النعمة على هذه الأمة، أمة الإسلام، وأيضاً بقاء هذا الوحي محفوظاً، وفيه سعادة الأمة وفلاحها وعزها في الدنيا والآخرة.

وشاهد الحدیث للترجمة: الإكثار من الخیر والأعمال الصالحة عندما یكرم الله سبحانه وتعالى العبد بالفسحة فی الأجل والطول فی العمر.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

١١٦ - (الخامس: عن جابرٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»** رواه مسلم^(٦)).

(٥) رواه البخاري (٤٩٨٢)، ومسلم (٣٠١٦).

(٦) رواه مسلم (٢٨٧٨).

وهذا فيه: أن العبرة في الأعمال بالخواتيم، بما يختم للعبد به من عمل، وفي الحديث: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»^(٧)، فالعبرة بما يختم للعبد به، ولا يدري العبد متى يموت؟

لكن إذا امتدَّ العمر، وفُسِحَ في الأجل، فهذا دليل على دُنُوِّ الأجل والقرب منه، فإنَّ كُلَّ ساعةٍ تمتدُّ في عمر الإنسان تدينه من الأجل، كما قال الشَّاعر:

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... و كلُّ يوم مضي يدني من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا ... فإنما الربح والخسران في العمل

فمن بلغ السِّتِّين، أو زاد فبلغ السَّبْعين، أو زاد فبلغ الثَّمَانين، فهذا الامتداد في العمر، هو في الحقيقة دُنُوٌّ من الأجل، وقرب من الوفاة.

فينبغي على العبد أن يحرص على حسن الخاتمة، وذلك بإصلاح حاله، والإقبال على الله، وأن يُدَكِّرَ نفسه بأنَّ كُلاًَّ يُبْعَثُ على ما مات عليه، فليحرص على الصَّلاح والاستقامة، وإذا كان مفرطاً مُقَصِّراً، فعليه أن يندم ويتوب إلى الله، ولا يستمرَّ في التَّفريطِ إلى أن تقبض روحه وهو على تفريطه، بل عليه أن يتوب إلى الله من ساعته.

وقد يتوب الإنسان هذه السَّاعة، ولم يبق له من عمره إِلَّا يوماً واحداً، فيغفر له كُلُّ ما مضى في عمره، وهذا من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعن عبد الصمد بن يزيد قال: سمعت الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: ((من أحسن فيما بقي: غفر له ما مضى وما بقي؛ ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى - ثم بكى الفضيل رحمه الله - فقال: أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يحسن فيما بقي)).

وله رحمه الله تعالى في هذا موعظة نافعة رواها أبو نعيم في حلية الأولياء وهي أنه رحمه الله قال لِرَجُلٍ: كَمْ أَتَتْ عَلَيْكَ قَالَ: سِتُّونَ سَنَةً قَالَ: فَأَنْتَ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً تَسِيرُ إِلَى رَبِّكَ

(٧) رواه البخاريُّ (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

تُوشِكُ أَنْ تَبْلُغَ فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ قَالَ لَهُ الْفُضَيْلُ: تَعَلَّمَ مَا تَقُولُ قَالَ الرَّجُلُ: قُلْتُ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. قَالَ الْفُضَيْلُ تَعَلَّمَ مَا تَفْسِيرُهُ؟ قَالَ الرَّجُلُ: فَسَّرَهُ لَنَا يَا أَبَا عَلِيٍّ قَالَ: قَوْلِكَ إِنَّا لِلَّهِ، تَقُولُ: أَنَا لِلَّهِ عَبْدٌ، وَأَنَا إِلَى اللَّهِ رَاجِعٌ فَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ رَاجِعٌ فَلْيَعْلَمْ بِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ وَمَنْ عَلِمَ بِأَنَّهُ مَوْقُوفٌ فَلْيَعْلَمْ بِأَنَّهُ مَسْئُولٌ وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَسْئُولٌ فَلْيُعِدَّ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا فَقَالَ الرَّجُلُ: فَمَا الْحِيلَةُ قَالَ: يَسِيرَةٌ قَالَ: مَا هِيَ قَالَ: تُحْسِنُ فِيمَا بَقِيَ يُغْفِرُ لَكَ مَا مَضَى وَمَا بَقِيَ فَإِنَّكَ إِنْ أَسَأْتَ فِيمَا بَقِيَ أَخَذْتَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ " .

والعاقل ينتهز هذه الفرصة الثمينة أن فسح له في الأجل، فيتوب إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ويسأل ربه عَزَّوَجَلَّ حسن الختام، والموت على الإسلام، والوفاء الطيبة، ويندم على التفریط والإضاعة فيما مضى من عمره، ويصلح ما بقي من عمره بالتوبة إلى الله، وكثرة الاستغفار وملازمة الأعمال الصالحة، اللَّهُمَّ أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.